الفصل الثاني

الاعتداءات على الحرمين الشريفين
في العصر الاسلامي

لما بزغ نور الاسلام ، واندحرت أكبر قوتين في ذلك الوقت هما الفرس والروم ، وسطعت شمس التوحيد شرقا وغربا كانت مكة المكرمة في أعلى درجات القداسة والتشريف وحلت قدسيتها في قلب كل مسلم خصوصا بعد أن أزال رسول الاسلام محمد بن عبد الله عنها آثار الجاهلية ، وصار حرمها خاصا بالمسلمين ولاتطأ أرضه أقدام غيرهم وخلال عصر النبوة والخلافة الراشدة لم تتعرض المدينتين المقدستين لاى عدوان داخلى أو خارجى ، ولم يظهر ذلك الا بعد أن انشقت وحدة الصف الاسلامى ، وظهرت بعض النزاعات التى نالت من مكانة المسلمين ، واخرجت الخلافة من الحجاز ، ونالت من مكانة مكة ووصل اذاها الى الحرمين الشريفين وفيما يلى نعرض لذلك .

أولا : العدوان على الحرمين الشريفين فى العصر الأموى

سجلت أولى هذه المحاولات العدوانية عندما رفض أهل الحجاز مبايعة يزيد بن معاوية على خلافة المسلمين،

وأعلنوا خلعه فأرسل يزيد « قائده مسلم بن عقبة المرى » بجيش يتكون من اثنى عشر ألفا ، ليذيق أهل المدينة وأهل مكة كل ضروب الشر ، فحاصر المرى المدينة، وانتهك حرمتها — وهى التى حرمها الرسول عليه السلام كما حرم ابراهيم مكة [١] — وأوقع بأهلها وقعة الحرة المشهورة [٢] ، وأباحها لجنده ثلاثة أيام يفعلون فيها المنكر [٣] ، فاعتدوا على العذارى لدرجة قال عنها صاحب النجوم الزاهرة أن جيش مسلم بن عقبة افتض الف عذراء [٤] كما تفاخر جند مسلم من السودان والزنج بفعلتهم الشنعاء فقال شاعرهم :

---

(١) من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان ابراهيم حرم مكة ، ودعا لأهلها ، وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ... »

رواه البخارى ومسلم .

(٢) محمد الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية — الدولة الأموية جـ ١ القاهرة ، المكتبة التجارية ١٩٦٩ — ص ١٣٠ .

(٣) عز الدين بن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، المجلد الثالث ، القاهرة ، دار الشعب ص ٢٤٣ .

(٤) انظر جمال الدين أبى المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة حـ ١ القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد ، ص ١٦٠ — ١٦٢ .

ويوم غمدان كنا الاسـد قد علمـوا
ويـوم بثـرب كنـا فحـلة العـرب

ويقصـد الشاعر بيوم يثرب ، يوم الحرة أو الهجوم على المدينة عام ٦٣ ، وفحـلة العرب مفاخرة بالاعتداء على نسـاء المدينة .

كما قال شـاعر من شعراء مضر يؤكد الحادثة :

فسائل مسرف المـرى عنكم غداة أباح للجند العذارى

وهو يؤكد تسـمية مسلم بمسرف ، ويـؤكد كذلك أن عدد السودان كان كثيرا(٥) . وقتل جند الشام من الصحابة والتـابعين وأولادهم وأطفالهم ونسـائهم آلافا مؤلفـة(٦) وبعدها صعد المرى الى المنبر ، وأخذ البيعة ليزيد .

وان الانسـان ليعجب مما حدث ، فقد ارتكب جنـود

---

(٥) هذا الحديث أورده الجاحظ فى رسالته فضل السـودان على البيضـان .
انظر رسائل الجاحظ حـ ١ — تحقيق عبد السلام هـارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ص ١٩٦ — ٢٠١ .
(٦) لتفاصيل ذلك انظر النجوم الزاهرة حـ ١ ص ١٦١ — ١٦٢ وايضا : عطار : الكعبة والكسوة ص ١١١ .

يزيد جرما عظيمـــا ، وتحملوا انتهـــاك حرمة المدينة مهبط الوحى الالهى ، يضـــاف الى ذلك اسرافهم فى معاملة أهـــل المدينة بطريقـــة مشينة بعد انتصارهم عليهم ، وأباحتها لهم ثلاثة أيـــام [٧] ، وكان من الواجب احتراما لحرمة رســـول الله صلى الله عليه وســـلم عدم اباحة ذلك .

وبعد الانتهاء من ذلك العمل المشين أمر يزيد بن معاوية قـــائده بالتوجه الى مكة [٨] فاتجـــه القائد الاموى بعـــد الشر الذى صبـــه على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم الى مكة ليقاتل ابن الزبير فاهلكه الله فى الطريق[٩] فاستخلف « الحصين بن نمير السكونى » عـــلى قيادة الجيش ، فصار الحصين الى مكة فى المحرم من عام ٦٤ هـ وحاصر ابن الزبير فى الكعبة ونصب المجانيق [١٠] حولها فى الثالث من ربيـــع الأول من نفس العام ، ثم رمى الكعبـــة بالنفط والحجـــارة

---

(٧) كانت تعليمات يزيد لقائده « أبحها ثلاثا فكل ما فيهـــا من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند » محمد الخضرى : المرجع السابق حـ ١ ص ١٣١ .

(٨) محمد مليبارى : المنتقى فى أخبار أم القـــرى ، مـــكة المكرمة مطابع الصفاء ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٤٢ .

(٩) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٢٤٣ .

(١٠) المجانيق جمع منجنيق وهو مثل المدفع الآن .

حتى احترقت كسوتها ونصدعت جدرانها [١١] واحترق فيها قرن الكبش الذى فدى به اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام [١٢] .

وبينما كانت رحى القتال دائرة وصلت الاخبار بوفاة يزيد فى الرابع عشر من ربيع الأول ٦٤ هـ ونتيجة لذلك توقف الحصين عن القتال ودعا ابن الزبير الى المسالمة والخروج معه الى بلاد الشام لمبايعته ، ولكن ابن الزبير لم يجبه الى طلبه [١٣] واستمر القتال بينهما مدة وبعدها فك الحصين الحصار ورجع الى الشام ، واستتب الامر لابن الزبير فى مكة وبايعه الناس فيها وفى المدينة وغيرها [١٤] .

واذا عدنا لنسأل هل كان جيش الشام يقصد حرق الكعبة التى يستقبلها المسلمون فى صلاتهم خمس مرات يوميا ؟

---

(١١) السباعى : تاريخ مكة ص ٩٥ .
(١٢) ابن الأثير : المصدر السابق حـ ٣ ص ٢٤٣ .
(١٣) عن تفاصيل ذلك انظر : الخضرى : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٣٥ .
(١٤) السباعى : المرجع السابق ص ٩٧ .

الواقع أن الزبيريين والامويين تبادلوا الاتهامات حول مسئولية ما أصاب بيت الله الحرام واختلف المؤرخون فيمن تقع عليه مسئولية ذلك فمنهم من يقول أن ابن الزبير قد ضرب فسطاطا فى ناحية المسجد فكلما جرح أحد من أصحابه أدخله الفسطاط ، فوضع رجل من أهل الشام شمعة فى طرف رمح ، ثم ضرب فرسه حتى طعن الفسطاط فالتهب نارا (١٥) امتدت شرارتها على الكعبة فاحترقت ، وتساقطت أستارها على الأرض(١٦) ومنهم من يقول أن ابن الزبير اتخذ من المسجد حصنا فكانت فيه الفساطيط والخيام(١٧) وأن نفرا من أصحاب ابن الزبير أشعل النار فى خيام كانت بين الحجر الاسود والركن اليمانى مما يلى الصفا ، وكانت الريح شديدة فعلقت النار بالكعبة فاحترقت وتصدعت(١٨) .

---

(١٥) محمد مليبارى : المرجع السابق ص ٤٣ .

(١٦) محمد عبد الله الدينورى : الامامة والسياسة حـ ٢ تحقيق طه الزينى ، بيروت ، دار المعرفة د. ت ص ١١ .

(١٧) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د. اكرم العمرى ، الرياض ، دار طيبة الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٢٥٢ .

(١٨) محمد صالح الحجبى : اعلام الانام بتاريخ بيت الله الحرام ص ١٤٧ .

ومنهم من يقـول ان الكعبة احتـرقت نتيجة لـرمى جند يزيد لهـا بالنفط والحجارة [١٩] فتهدمت أجزاء كبيرة منهـا ، ثم امتدت اليهـا السنة اللهب فحرقت أجزاء أخرى منهـا [٢٠] .

ومنهم من يقـول أنه ما كان يجب على ابن الزبير أن يتحصن بالكعبة حتى لا يعرضهـا لضربات المهاجمين . وهكذا اذاع الأمويون أن ابن الزبير هو المسؤول عما أصاب الكعبة على حين ألقى ابن الزبير وأنصـاره التبعة على الامـويين والحقيقة أن ما حـدث يعتبر مأسـاة مروعة وهى أن يتقاتل المسـلمون فى أشرف بقعة من الارض حرم الله فيها القتال، وجعلهـا حرما آمنـا ، وانه كان على الطرفين أن يلتجأوا الى كتـاب الله فهو خير حكم بينهمـا أو يبتعدوا عن الحرم، ويتقاتلوا بعيـدا عنه حتى تحسـم الامور بينهما . ومع كل ذلك فنحن نتفق مع القـول الذى يرى أن الكعبة لم تـكن مقصـودة بالرمى خصوصا وان جيش الشـام كان يستقبلها فى صـلاته مثل باقى المسـلمين بل يمكن القول ان ابن الزبير

---

(١٩) السباعى : المرجع السابق ص ٩٥ .

(٢٠) الخربوطلى : تاريخ الكعبة ص ١٥٨ .

لما احتمى بهـا حـاول جنود يزيد اصابته من ورائها فنالت القذائف بعض أركانها [٢١] .

وقد تـرك ابن الزبير الكعبة على حـالها حتى قـدم الناس للحج حتى يريهم مـا فعله جنـد يـزيد ببيت الله الحرام [٢٢] وبعدها بادر بازالة الاحجـار التى ألقيت على الكعبة ، وأمـر بهدم البنـاء فى عام ٦٥ هـ [٢٣] واعـادته من جديد ، بعد أن مال جـدار الكعبـة من رمى المنجنيق ، فهـدم ابن الزبير الجـدار حتى وصل الى أساس ابراهيم عليه السلام وبنـاها على ما كان رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يريد أن يبنيها [٢٤] وادخل فيها الحجر الاسود [٢٥] وكان السبب فى ادخـاله الحجر ضمن البيت ما روته أمـه أسـماء عن عائشـة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسـلم قال لها : « لولا قومك حديثو عهـد بكفـر لنقضت

---

(٢١) السباعى : المرجع السابق ص ٩٥ .

(٢٢) محمد صالح الحجبى : اعلام الأنام بتاريخ بيت اللـه الحرام ص ١٤١ .

(٢٣) السيد أبو الفضل عوض الله ، مكة فى عصر ما قبل الاسلام ، الرياض دارة الملك عبد العزيز ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ص ١٢٠ .

(٢٤) ابن كثير : المصدر السابق حـ ٨ ص ٢٥٠ .

(٢٥) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٢٤٤ .

الكعبة وجعلتها على قواعد اسماعيل ، وجعلت لها بابين[٢٦]»، ومن هنا قام ابن الزبير بتنفيذ ما كان يرغبه الرسول عليه السلام من بناء للكعبة ولما استقر الامر لعبد الملك بن مروان فى العراق ، والشام ومصر ولم يبق فى يد ابن الزبير الا الحجاز جهز حملة الى مكة فى عام ٧٢ هـ بقيادة الحجاج ابن يوسف الثقفى لقتال ابن الزبير •

وقدم الحجاج بجيشه الى مكة ، ودارت الحرب بينه وبين ابن الزبير ، وحوصرت مكة ، والتجأ ابن الزبير الى المسجد الحرام ، ودامت الحرب سجالا [٢٧] لفترة ، وقد حج الحجاج بالناس فى هذه السنة ، ومكة محصورة ، ولا سبيل للحجاج اليها ، ولما وافى يوم عرفات وقف الحجاج ملبيا وهو على فرسه وعليه الدرع [٢٨] ومعه أفراد جيشه ثم أزدلف مع الحجيج الى المزدلفة ومنى ، ولم يستطيعوا دخول مكة لاتمام مناسكهم فبقوا فى احرامهم[٢٩] • فى حين

---

(٢٦) الخضرى : المرجع السابق حـ ١ ص ١٦١ .

(٢٧) ابو الفضل البيهقى : تاريخ البيهقى — ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٨٢ ص ٢٠٢ .

(٢٨) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ ٦ ص ١٧٥ .

(٢٩) السباعى : المرجع السابق ص ١٠٢ .

لم يستطع ابن الزبير وأصحابه الحج فى ذلك العام لأنهم لم يقفوا بعرفة [٣٠] .

وشدد الحجاج الحصار على مكة ، ونصب المنجنيق على جبل أبى قبيس ، وكان يرمى به ابن الزبير ومن معه فى المسجد[٣١] فكانت الأحجار تنهال على الكعبة وتقع على جدارها[٣٢] ثم ضيق الخناق على ابن الزبير وحاصر الكعبة بجيشه فعبأ « أهل حمص فى مقابل الكعبة ، ورجال دمشق تجاه باب بنى شيبه ، وجند الأردن ازاء باب الصفا .. ووقف الحجاج مع طارق بن عمرو ومعظم الجيش فى موضع المروة حيث نصبوا الراية الكبرى »[٣٣] .

ونظرا لهول ما حدث من أعتداء على البيت الحرام ، وترويع للحجيج بعث عبد الله بن عمر بن الخطاب الى الحجاج الثقفى ينهاه عن قذف الكعبة بالاحجار ومحاصرتها بقوله : « اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس ، فانك فى شهر حرام ، وبلد حرام ، وقد قدمت وفود الله من أقطار الأرض ليؤدوا فريضة الله ويزدادوا خيرا وان المنجنيق قد

---

(٣٠) الطبرى : المصدر السابق حـ ٦ ص ١٧٤ .
(٣١) ملبارى : المنتقى فى أخبار أم القرى ص٤٤ .
(٣٢) السباعى : المرجع السابق ص ١٠٣ .
(٣٣) البيهقى : المصدر السابق ص ٢٠٤ .

منعهم من الطواف ، فاكفف عن الرمى حتى يقضـــوا ما يجب عليهم بمكة » [٣٤] .

ونتيجـــة لتأزم موقف ابن الزبير تركه انصاره وتفرقوا عنه وانضـــم بعضهم الى صفوف الحجاج [٣٥] ولما ضـــاق الامر بابن الزبير كف عن القتـــال [٣٦] بعد أن نفرق أصحابه عنه وخرجوا بالامان الى الحجـــاج ولما رأى ابن الزبير انـــه لم يبق معه الا قليل من الانصـــار لا يغنون عنه شيئا دخـــل على أمه اسماء بنت أبى بكر فقال يا أماه خذلنى النـــاس حتى ولدى وأهلى ولم يبق الا اليســـير ومن ليس عنده أكثر من صبر ســـاعة والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت أعلم بنفســـك انك على حق واليه تدعو فامض له ، فقـــد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمـــان بنى أمية ، وان كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفســـك ، ومن قتل معك وان كنت على حق فلمـــا أوهن أصحابك ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين كم خلودك فى الدنيا ؟ القتل احسن ! فقال : ياأماه أخـــاف

---

(٣٤) الخربوطلى : تاريخ الكعبة : ص ١٦٥ .
(٣٥) ضرار صالح ضرار : العرب من معين الى الأمويين بيروت ، مكتبة الحياة ، الطبعة الرابعة ص ١٢٦ .
(٣٦) البيهقى : المصدر السابق ص ٢٠٢ .

ان قتلنى أهل الشـــام أن يمثلوا بى ويصلبونى • قـــالت : يابنى ان الشـــاة لا نتألم بالســـلخ بعد ذبحها فامض على بصيرتك واســـتعن بالله فقبل رأســـها وقال هذا رأيى والذى خرجت به دائبـــا الى يومى هذا ما ركنت الى الدنيـــا ، ولا أحببت الحيـــاة فيها مادعانى للخـــروج الا الغضب لله وأن تستحل حرماته ولكنى احببت أن أعرف رأيك ثم خرج فقاتل حتى قتل فى عام ٧٣هـ : وبعد القتل صلبت جثته[٣٧] ، وانتهى الامر باستيلاء الحجـــاج على مقدرات الامور فى مكـــة ، واستقر الامر لعبد الملك بن مروان فى جميع البلدان الاسلامية وبعدها نقض الحجـــاج بنيان ابن الزبير للكعبة واعادها الى بنائها فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم[٣٨] واخرج الحجر الاسود منها [٣٩] بعد مشاورة عبد الملك بن مـــروان فـــى الأمر • وذلك أنفة أن يبقى هـــذا الشرف وهـــذه المكرمـــة لابن الزبير [٤٠] •

---

(٣٧) الخضرى : المرجع السابق حـ ٢ ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(٣٨) ابن قتيبة : المعارف ، القـــاهرة ، دار المعـــارف ، الطبعة الرابعة ١٩٨١ ص ٣٥٦ .

(٣٩) ابن الأثير : أسد الغابة ص ٢٤٤ .

(٤٠) ابن العماد الحنبلى : المصدر السابق حـ ١ ص ٧٩ .

وهكذا أدى التنـــازع بين ابن الزبير والامـــويين الى قيـــام الحجاج وجنـــوده مع كل اســـف بارتكـــاب كبـــائر واخطاء يصعب على المسلمين نسيانها ، فكيف يرمى الحجاج قبلته التى يصلى اليها انها حمى الحرب وثورة الاعصاب[٤١].

وكيف ينقض الحجـــاج بناء ابن الزبير للكعبة مع أن الرســـول صلى الله عليه وسلم قد ارادها على هذا البنيان. انها الخصـــومة الشـــديدة التى جعلت الحجـــاج لا يفـــكر الا فى الانتقـــام من غريمه ومحو كل أثر له .

وكما أن بيت الله الحـــرام وحرم رسوله الامين لـــم يسلما من العدوان خـــلال النزاع بين الزبيريين والامـــويين فانهما لم يســـلما أيضـــا خلال مقـــاتلة الخوارج للامويين فقد هاجم أبو حمزة المختار بن عوف الخارجى مكة فى ذى الحجة من عام ١٢٩ هـ فى جيش كثيف لم يستطيع عبد الواحد ابن ســـليمان بن عبد الملك بن مروان أمير مكة صده ففـــر الى المدينة تاركا أبا حمزة يعبث بمكة ويستولى على مقدرات أمورها ، ويدعو أهلها الى الخروج على طاعة الامويين [٤٢].

---

(٤١) السباعى : المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٤٢) جمال الدين ابى المحاســـن : النجـــوم الزاهرة حـ ١ ص ٣٠٩ .

وبعد أن استقرت الإمور لابن حمزة بمكة زحف بجيشه على المدينة فى صفر من عام ١٣٠ هـ وقتل من أهلها خلقا كثيرا ، ثم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوبخ أهل المدينة ، ودعاهم الى الخروج على طاعة الخليفة الاموى مروان بن محمد ؛ وحذرهم من تحدى أوامره (٤٣) .

وقد أرسل اليه الخليفة مروان جيشا هزمه واستعاد منه المدينة ، ثم حصره فى مكة حتى قتل وهزم أصحابه وأعيدت مكة وجنوب بلاد العرب الى حكم الامويين(٤٤).

ثانيا : العدوان على الحرمين الشريفين فى العصر العباسى :

وبعد أن انتقلت الخلافة الى بغداد أصيب العالم الاسلامى بمحنة ظهور الفرق التى انهكت قوى الامة الاسلامية وفتتت فى عضدها ، وكان على رأس هذه الفرق

---

(٤٣) ابن كثير : المصدر السابق حـ ١٠ ، ص ٣٥ .

(٤٤) للتفاصيل انظر . جمال الدين ابى المحاسن : المصدر السابق حـ ١ ص ٣١١ .

الضـــالة « القرامطة » [٤٥] الذين خرجوا عن سلطان الدولة وأعلنـــوا العصيان على الخـــلافة وشقوا عصا الطـــــاعة ، وقاوموا جيوش الخليفة واستطاعوا هزيمتها وكان للقرامطة ســـلطان على البحرين والقطيف والاحساء والطائف وغيرها وعندما تولى أمر قرامطة البحرين أبو طـــــاهر سليمـــــان ابن ابى ســـعيد الجنابى بدأ بالتعرض للحجاج سنة احدى عشر وثلاثمائة فنهب قوافل الحجاج من أهل بغداد والمشرق، وأخـــذ جمالهم ، وما أراد من أمتعتهم وأموالهم وصبيانهم وعاد الى هجر [٤٦] ، تاركا الحجاج فى مواضعهم يمـــوت

---

(٤٥) ينسب القرامطة الى رجل من الباطنية مجوسى العقيدة تظاهر بالاسلام اسمه حسين الاهوازى ، وقد تقابل هذا الرجل فى الكوفة بحمدان بن الأشعث (قرمط) وتحالفا معا على الشر ، وقد ظهرت هذه الطائفة فى أيام المقتدر العباسى وهم قوم ينسبون الى موالاة محمد بن الحنيفة ، وابرز من ظهـــر منهم أبو طـــاهر القرمطى الذى بنى دارا فى هجر سماها دار الهجرة واراد أن ينقل الحج اليها وهذه الحركة استمدت عقـــائدها ومبادئها وتنظيماتها السرية من الحركة الاسماعيلية .

مصطفى غالب : الحركات الباطنية فى الاسلام ، بيروت ، دار الكاتب العربى ، د. ت ص ١٣١ واحمد شلبى حركات فارسية مدمرة ص ١٤٢ .

(٤٦) اسم هجر كان يطلق على الاحســـاء واحيانا على بلاد البحرين .

أكثرهم جوعا وعطشـــا ومن حر الشمس [٤٧] .

وتوالت هجمـــات القرامطة على الحجاج فى السنوات التـــالية خصوصا بعد استيلائهم على الكوفة فى عام ٣١٢هـ، وقطعهم لطريق القـــوافل الى مكة ، مما أدى الى احجـــام معظم الناس عن الحج فى تلك السنة .

وفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة هاجم قرامطة البحرين مكة المكرمة فى يـــوم التروية بقيـــادة أبو طاهر الجنابى . ففى الوقت الذى اجتمع الحجـــاج فيه من كل مكان استعدادا لاداء فريضـــة الحج [٤٨] ، وكان المســـجد والمطاف غاصا بالمصليين والطائفين [٤٩] دخل أبو طاهر القرمطى وجنـــوده بخيلهم وســـلاحهم الى المســـجد الحـــرام [٥٠] واغمـــدوا الســـيوف فى رقاب الحجيج ؛ ونهبـــوا أموالهم واستحلوا حرمة البيت الحرام « وركض أبو طاهر القرمطى عند الكعبة بســـيفه مشـــهورا قيل وهو ســـكران وصفر لفرســـه عند

---

(٤٧) مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين : مقال لمحمد السعيد تحت عنوان القرامطة ص ٢٧ .

(٤٨) عماد الدين ابى الفداء : المختصر فى أخبـــار البشر ، بيروت دار المعرفة ص ٧٤ .

(٤٩) وتموت الفتنة ص ٣٤ .

(٥٠) زينى دحلان : خلاصة الكلام ص ١٢ .

البيت الشريف فبال وراث » [٥١] ثم جلس على بـاب الكعبة يقول « أنا بالله وبالله أنا ، يخلق الخلق وأفنيهم أنا » وكان الحجـاج يفرون من أمامه ويتعلقون بأستار الكعبة ومع ذلك كانوا يقتلون وهم كذلك [٥٢] وتسـيل دماء الالاف منهم فى المطـاف بين الكعبة وفى رحـاب المسجد الحرام [٥٣] وهو يصيح فيهم « ياحمير أنتم تقولون ومن دخـله كان امنـا أين الأمان وقد فعلنـا ما فعلناه » [٥٤] وأخذ ينتقـل مـن مكان الى آخر وهو يدعو اصحابه : أن اجهزوا على الكفار وعبدة الاحجار ، ودكوا أركان الكعبة ، واقتلعـوا الحجـر الاسود حتى لا يبقى له أثر [٥٥] .

وبعد أن قتل القرمطى ما بين عشـرين وثـلاثين ألف حاج أمر بأن يدفن القتلى فى بئر زمزم ، حتى امتلات بجثث القتلى ، ودفن كثيرا منهم فى أماكنهم من الحـرم ، دون أن يغسـلوا أو يكفنـوا ولم يصل عليهم [٥٦] .

---

(٥١) دحـلان : المرجـع السابق ص ١٢ .
(٥٢) ابن كثير : المصدر السابق حـ ١١ ص ١٦٠ .
(٥٣) عطار : الكعبة والكسوة ص ١١١ .
(٥٤) دحلان : المرجع السابق ص ١٣ .
(٥٥) د. محمد الخطيب : الحـركات الباطنيـة فى العالم الاسلامى عمان ، مكتبة الأقصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ١٥٢ .
(٥٦) ابن كثير : المصدر السابق ص ١٦٠ .

وقلع القرطى باب الكعبة ، وسلب كسوتها ووزعها بين أصحابه ، وهدم قبة زمزم وأمر بعض رجاله بقلع الحجر الاسود فضربه بعضهم بدبوس فكسره (٥٧) ولما قام بحمله حاول أحد الحجيج منعه فضربه بمثقل فى يده ، وقال أين الطير الابابيل ؟ أين الحجارة من سجيل ؟ (٥٨) وأراد القرمطى قلع ميزاب الكعبة (٥٩) وكان من ذهب فاطلع قرمطيا على الكعبة لقلعه فأصيب بسهم من جبل أبى قبيس وخر ميتا ، وأمر آخر مكانه فسقط ، فتركه أبو طاهر رغم أنفه (٦٠) وأخذ القرمطى خزانة الكعبة وحليها وما كان فيها من الاموال ، ثم استدار مع رجاله على أهل مكة وقتل العديد منهم ، كما سبى العديد من النساء والصبيان (٦١) ونهبوا كل ما وقع تحت ايديهم .

---

(٥٧) المالكى المكى : شفاء الغرام ص ١٩٣ .

(٥٨) ابن كثير : المصدر السابق حـ ١١ ص ١٧١ .

(٥٩) ميزاب الكعبة فى وسط جدارها الذى يلى الحجر — بكسر الحاء — بين الركن الشامى ، والركن المغربى ، ويسكب فى بطن حجر اسماعيل وطول الميزاب أربعة اذرع ، وهو ملبس بصفائح الذهب من الداخل والخارج منذ عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك انظر : الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص ١٢٦ .

(٦٠) دحلان : المرجع السابق ص ١٣ .

(٦١) د. محمد الخطيب : الحركات الباطنية فى العالم الاسلامى ص ١٥٢ .

وأقـــام القرمطى بمكة ستة أيـــام ، وقيل أحـــد عشر يوما ثم غادرها الى هجر ومعـــه الحجـــر الأســـود بغـــرض أن يحـــول الحـــج الى مســـجد الضرار الذى سمـــاه دار الهجرة (٦٢) وقد تبعه أمير مكة وجنده وتشفع اليـــه أن يرد الحجر الاســـود ليضعه فى مكانه ، وبذل له جميع ما عنده من الامـــوال فلم يلتفت اليه ، مما اضطر أميرمكة الى قتاله فقتله القرمطى (٦٣) واستمر الحجر الاسود عند القرامطـــة اثنين وعشرين عاما ، يستجلبون به النـــاس طمعا أن يتحول الحج الى بلدتهم وبقى موضـــع الحجر الاســـود فى البيت الحرام خـــاليا يضع الناس أيديهم فى مكانه (٦٤) .

وهكذا يتضـــح لنا أن موقف القرامطة من الحجيـــج أمر مثير للدهشـــة والاستغراب ، كما أن موقفهم من الحجر الأسود ونقله الى البحرين أمر يثير الحيرة والتعجب .

وعن موقفهم من الحجيج فيذكر أحـــد البـــاحثين أن اعتراض القرامطة للحجيج ، ومنعهم من الحج وقتلهم شىء محيب لهم لان شعـــائر الحج كما يزعمـــون من شعـــائر

---

(٦٢) دحلان : المرجع السابق ص ١٤ .
(٦٣) ابن كثير : المرجع السابق حـ ١١ ص ١٦١ .
(٦٤) دحلان : المرجع السابق ص ١٤ .

الجاهلية ، ومن قبيل عبـــادة الاصنام ومن هنا كان موقفهم الذى تقشعر منه الابـــدان معهم (٦٥) .

وبالنسبة لانتزاعهم للحجر الاسود ونقله الى البحرين فيقول الرحـــالة الاسماعيلى نـــاصر خسرو ان السبب فى ذلك يرجـــع الى انهم « زعموا أن الحجر مغناطيس يجذب الناس اليه من أطراف العـــالم » ثم يعترف بفشل القرامطة فى جـــذب الناس اليهم بعد انتزاعهم الحجر الاســـود فيقول « لقد لبث الحجر الاسود فى الحساء سنين عديـــدة . ولم يذهب اليه أحد » (٦٧) .

ومعنى ذلك أن القرامطة ارادوا أن يصرفوا الحج عن مكة الى بلادهم ، وتوقعوا أنهم يستطيعون ذلك اذا تمكنوا من نقل الحجر الاســـود الذى يجعل قلوب الناس تهفـــو الى مكة .

والغريب فى الأمر أن العالم الاسلامى لم ينهض لهذا

---

(٦٥) محمد أحمد الخطيب : الحركات الباطنيـــة فى العالم الاسلامى ص ١٥٢ .

(٦٦) مؤتمر قدسية الحرمين : مقال تحت عنوان القرامطـــة لمحمد سعيد جمال الدين ص ٧١ .

(٦٧) نفس المرجع ص ٣١ .

الحادث الجلل لما كان يعتروه من الضعف وتفرق قواه ، وانشغال الخلفاء العباسيين بتأمين مواقفهم الداخلية ، مما جعلهم لا يهتمون بتأمين الطرق الى الحجاز ودعم الأمن فى الحرمين وقد حاول عدد من ملوك الاسلام أن يستردده بأى مبلغ من المال يحدده القرامطة ، فبذل لهم الأمير « بجكم » التركى خمسين ألف دينار على أن يردوه الى موضعه فلم يفعلوا ، وقالوا نحن أخذناه بأمر فلا نرده الا بأمر ، وكانوا قد حملوا الحجر الأسود الى الكوفة وعلقوه على الاسطوانة السابعة من جامعها ليراه الناس(٦٨) .

ولما بعث القرمطى الى الامام الاسماعيلى والخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى يبلغه بما أحدثه فى بيت الله الحرام ، كتب اليه الخليفة الفاطمى رسالة ملؤها الوعيد واللعنة بقوله « ان أعجب العجب ارسالك بكتبك الينا ههنا بما ارتكبت فى بلد الله الحرام الذى لم يزل محترما فى الجاهلية والاسلام ، وسفكت فيه دماء المسلمين ، وفتكت بالحجاج والمعتمرين وتعديت وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الأسود الذى هو يمين الله فى الأرض ورجوت أن أشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وفعل

---

(٦٨) ابن كثير : المصدر السابق حـ ١١ ص ٢٢٣ .

فى يومه ما فعله فى حساب غده »[٦٩] .

كما أنكر عليه سوء فعلته وما جلبه عليهم من غضب المسلمين بقوله « حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والالحاد بما فعلت ، ثم هدده بقوله :

« ومتى لم ترد على أهل مكة ما أخذت ، وتعد الحجر الأسود الى مكانه ، وتعد كسوة الكعبة فأنا برىء منك فى الدنيا والآخرة »[٧٠] فلما وصلت هذه الرسالة الى القرمطى أعاد الحجر الأسود الى مكانه فى عام ٣٣٩هـ[٧١] خصوصا وأن القرامطة قد يئسوا من تحويل الحج الى بلادهم[٧٢] .

ولعل رسالة الخليفة الفاطمى الى القرمطى قد صيغت باسلوب شيعى الهدف منه امتصاص غضب العالم الاسلامى من ناحية واظهار القرامطة فى صورة القادر على سلب الحجر الأسود وأخذه الى هجر دون أن يستطيع أحد من العباسيين أو غيرهم أن يسترده منهم ، ثم يبقوه أعواما فى بلادهم

---

(٦٩) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر حـ ٤ ، بيروت ، ١٩٧١ ص ٨٩ .

(٧٠) مؤتمر قدسية الحرمين : مقال القرامطة السابق الذكر

(٧١) مصطفى غالب : الحركات الباطنية فى الاسلام ، بيروت دار الكاتب العربى ، د.ت ص ١٥٣ .

(٧٢) دحلان : مرجع سابق ص ١٤ .

ويعيدوه بأمر من الخليفة الفاطمى الزعيم الروحى للشيعة فى ذلك الوقت مما يوحى أن سلطان الفاطميين كان أقوى من سلطان العباسيين ، وان هجوم القرامطة كان من شأنه اضعاف هيبة الخلافة العباسية ويدلل على عدم قدرتها على حماية الحج .

ومعنى ذلك أن الحركة القرمطية كانت تنطلق مع الاسماعيلية وتستمد تنظيماتها منها ، وان أبا طاهر القرمطى كان يتلقى أوامره وارشاداته من الفاطميين وينفذها بكل دقة مما يفضح النية المبيتة من قبل الشيعة تجاه ركن أساسى من أركان الاسلام ألا وهو الحج .

ومع ذلك فقد رفض الخليفة الفاطمى أن تأتى سيادته على الحجاز بهذا الطريق الدموى ومن ثم ندد بأعمال القرامطة ، وأمرهم باعادة الحجر الأسود الى مكانه(٧٣) .

وهكذا كان اقتلاع القرامطة للحجر الأسود وانتهاكهم لحرمة الكعبة ، وعدوانهم على حجيج بيت الله الحرام وقتلهم فاجعة كبرى حاقت بالاسلام والمسلمين مما ضاعف

---

(٧٣) سليمان مالكى : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية فى بغداد ، الرياض ، دارة الملك عبد العزيز ١٤٠٣هـ ص ٢٩ .

من كراهية الناس للقرامطة ، وأكد انحرافهم عن الاسلام ومحاولاتهم لتدميره وتعطيل ركن من أركانه ، ثم أخزاهم الله بالذكر السيء من الآخرين فما أن يذكر القرامطة حتى يتبرأ المسلمون فى كل مكان وزمان منهم أيما براءة(٧٤) .

ولم يقتصر أمر هؤلاء على ايذاء المسلمين فى مشاعرهم باعتدائهم على المسجد الحرام وزواره بل وصل بهم الأمر الى التفكير فى التهجم على الحجرة النبوية الشريفة ونقل النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من المدينة الى مصر وموضوع ذلك أنه لما زين بعض الزنادقة للحاكم بأمر الله الفاطمى هذه الفكرة الخبيثة بعث مندوبا له لنبش الموضع الشريف ، فلما وصل هذا المندوب الى المدينة ، وعلم الناس بنواياه هاجوا وماجوا وكادوا يقتلون مندوب الحاكم ومن معه من الجند (٧٥) ، لكنهم لاذوا بالفرار والى جانب ذلك فهناك محاولات من الروافض للاساءة الى الاسلام والمسلمين والتى كان أهمها محاولة نقل الشيخين من الحجرة الشريفة ومما يذكر عن هذا الموضوع أن قوم من أهل حلب جاءوا

---

(٧٤) د. عبد الله التركى مقال فى مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين تحت عنوان « قدسية الحرمين » ص ٩ .

(٧٥) حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ، الرياض دار اليمامة ١٤٩٢هـ ص ١٣١ — ١٣٢ .

الى المدينة وبذلوا أموالا كثيرة لأميرها حتى يمكنهم من فتح الحجرة الشريفة ، واخراج أبى بكر وعمـــر رضى الله عنهما منها فأجابهم الى طلبهم وأمر الحـــراس بفتح أبواب المسجد النبوى لهم بعد خروج الناس من صلاة العشـــاء وتمكينهم مما يريدون ، ولمـــا دخل هؤلاء الى المسجد بالشموع وآلات الهدم والحفر وقصدوا الحجرة الشريفة أنقذ الله سبحانـــه وتعالى حرمة مسجد نبيه الكريم فابتلعت الأرض هؤلاء البغاة جميعهم بجميع ما معهم من الآلات والشمـــوع ولم يبق لهم أثـــر[٧٦] .

ولم تتوقف أمر الاعتداءات على مقدسات المسلمين عند هذا الحد بل تكررت فى مناسبات عديدة نذكر منها :

١ ـــ تظاهر رجل رومى بالاسلام ودخل مكة فى عـــام ٣٦٣هـ ، وطاف بالكعبة ثم انقض بمعول كان معه على الحجر الأسود فضربه ضربة قوية ، ولمـــا حاول تكرار ذلك ابتدره أحد الطائفين بخنجر[٧٧] ثم أسرع اليه من كان بالمسجد الحرام من معتمرين وزائرين ، وأمسكوا به وأخرجوه من المسجد ، ولمـــا تم استجوابه اعترف بأنه كلف بهذا العمل نظـــير مال

---

(٧٦) حمد الجاسر : المرجع السابق ص ١٥٢ .

(٧٧) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص ١٢٧ .

كثير أخذه من باعثيه ، فجمع له حطب احرق بالنار جـزاء عدوانـه[٧٨] .

٢ ــ فى عام ٤١٣ هـ تعرض الحجر الأسود لحادثة مماثلة حيث قام رجل من الباطنية ممن استغواهم الحاكم بأمر الله فضرب الحجر الأسود بدبوس ثلاث مرات[٧٩] حتى خـدش وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه بعض أجزائه[٨٠] وقال الى متى يعبد الحجر ... أفيمنعنى محمد مما أفعـله فانى اليوم أهـدم هذا البيت فانقاه أكثر الحاضرين ، وكان يقف على باب المسجد عشرة فوارس لنصرته ، ولكن رجلا من أهـل اليمن غـافله وطعنـه بخنجـر ثم تكاثر عليـه الناس وأهلكوه[٨١] وأحرقوه ، وقتلوا من قاموا بمساعدته ، وقـد جمعت بقايا الحجر المتناثرة ، وعجنت بالمسك والملك ، وحشيت الشقوق وطليت[٨٢] حتى أصبح الحجر الأسود أكثر تماسكا .

٣ ــ امتدت الصراعات بـين اشراف مكة عـلى السلطة

---

(٧٨) عطار : الكعبة والكسوة ص ١١٢ .
(٧٩) المـالكى : شفاء الغرام ص ١٩٤ .
(٨٠) الزيلعى : المرجع السابق ص ١٢٨ .
(٨١) ابن كثير : البداية والنهاية ص ١٣ .
(٨٢) شذرات الذهب حـ ٣ ص ١٩٧ ــ ١٩٨ .

أحيانا الى أن تتحرك الأمور لسلب محتـويات البيت العتيق ونهب أهالى مكة ، وأبرز مثال على ذلك انه على أثر خـلاف بين الأشراف تولى امارة مكة محمد بن أبى الطيب عبد الرحمن القاسم فى عام ٤٥٣هـ ، ولم يحسن آل الطيب السيرة فأشاعوا السلب والنهب فى مكة ، وتجاوزوا ذلك الى أخـذ ميـزاب الكعبة وتعريتها من الكسوة كما نهبوا حلية البيت الحـرام ، وفر بعضهم بها الى اليمن .

ونظرا للظروف المحيطة بكل من العباسـيين والفاطميين والنزاعات بينهما لم يكن فى وسعهما التدخل لاقرار الأمور فى مكة لذلك طلب الخليفة المستنصر الفاطمى من محمد بن محمد الصليحى حاكم اليمن التدخل فى الأمر ، واقرار الأمـور فى مكة المكرمة خشية أن تؤدى تلك الفوضى الى خروج نفوذهم منهـا(٨٣) .

فغادر الصليحى اليمن متوجها الى مكة ، ووصـلها فى السادس من ذى الحجة ٤٥٥هـ وانتزع أمورها من آل الطيب ، وأجبرهم على الخروج منها كما قام بتأديب القبائل التى كانت تعتدى على الحجاج وأمن الحج ، ورد ما أخذه بنو الطيب

---

(٨٣) الزيلعى : المرجع السابق ص ٦٣ — ٦٥ .

من محتويات الكعبة وحليها فطابت قلوب الناس واستقرت الأمور ، وسارت فى طريقها الصحيح[٨٤] .

ثالثا : العدوان على الحرمين الشريفين فى العصرين الأيوبى والمملوكى :

١ — فى عام ٥٥٧هـ وقع حادث جلل خطط له أعداء الاسلام وكان الهدف منه اخراج الجسد الشريف لسيد الخلق أجمعين ونقله الى بلاد النصارى وتفاصيل ذلك هو أن السلطان نور الدين محمود بن زنكى رأى فى منامه رؤيا هالته وهى أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فى ليلة واحدة وهو يقول له انجدنى انقذنى من هذين الرجلين ، وأشار اليهما فرآهما رجلين أشقرين تجاهه[٨٥] ، فاستيقظ السلطان وأحضر وزيره وذكر له ذلك فقال له ان هناك أمر قد حدث فى المدينة ولن يواجهه أحد غيرك ، فتجهز السلطان وخرج على عجل ومعه ألف راحلة وما يتبعها من استعدادات[٨٦] وأسرع الى المدينة فى غفلة من أهلها والوزير

---

(٨٤) الزيلعى : المرجع السابق ص ٦٦ .

(٨٥) محمد بيرم الخامس التونسى : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار حـ ٤ المجلد الثانى ص ١٤٥ .

(٨٦) حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ، الرياض ، دار اليمامة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ص ٢٧ .

معه فزار وجلس فى المسجد ثم أمر باحضار أهـل المدينـة وصار يتصدق عليهم ويتأمل فى الصفة التى رآها فى منامه ، ولمـا علم أن أهل المدينة حضروا اليـه جميعا ولم يتأخر عن الحضور سوى رجلين من أهـل الأندلس سـأل عن منزلهما فأخبر أنهما نازلان فى ناحية بالقرب من الحجرة الشريفة فمضى الى المنزل ليفتشه ، فلم يجد به سوى خيمتين ومالا كثيرا[٨٧] ، ولمـا سأل الرجلين عن أسباب بقائهم فى هذا المكان قـالا لمجاورة النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يصدقهما وأصر على أن يقولا الصدق ، والا تعرضا للعقاب فأقرا أنهما من النصارى وانهما وصلا لكى ينقلا النبى صلى الله عليه وسلم من حجرته الشريفة باتفاق من ملوكهم[٨٨] ، فرفـع السلطان حصيرا فى البيت فوجد تحته سردابا ذاهبا صوب الحجـرة الشريفة فارتاعت النـاس[٨٩] وضرب السلطان أعناقهما ثم أحرقا بالنار[٩٠] .

وهكذا دبر النصارى المكيدة للمسلمين فحاولوا نقل نبى الاسلام اليهم والتشفى منهم ، وابطال معجزة تعيين محله

---

(٨٧) التونسى : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .
(٨٨) الجاسر : المرجع السابق ص ١٢٨ .
(٨٩) التونسى : المرجع السابق ص ١٤٦ .
(٩٠) الجاسر : المرجع السابق ص ١٢٩ .

صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء جميعا عليهم السلام .

٢ — اقدام ارناط صاحب الكرك على مشروع خطير فى عام ٥٧٨هـ استهدف به طعن الاسلام فى قلبه بغزو الحرمين. وتفاصيل ذلك انه بعد اشتداد هجمات صلاح الدين على مملكة بيت المقدس ، وتمكنه من الاستيلاء على بعض المعاقل الصليبية لجأ الأمير ارناط الصليبى الى تهديد الحرمين الشريفين فى الحجاز فبدأ فكرته بالاستيلاء على أيله وهو الميناء الهام على رأس خليج العقبة ثم لجأ أرناط فى بناء عدده سفن حملت أجزاؤها مفككة الى خليج العقبة حيث ركبت وشحنها بالمقاتلين ، واتجه على رأسها لمهاجمة الموانىء الاسلامية فى البحر الأحمر(٩١) .

ولم يكتف أرناط بالعدوان على الموانى المصرية مثل عيذاب بل نقل نشاطه الى شاطىء الحجاز حتى أن الصليبيين أضحوا على مسيرة يوم واحد من المدينة المنورة .

ومن الواضح أن العدوان على الحرمين أمر لا يمكن أن يغفره أو يسكت عنه المسلمون ، فاسرع العادل — أخو صلاح

---

(٩١) للتفاصيل انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٨ هـ .

الدين — الى ارسال اسطول قوى فى البحر الأحمر نجح فى تدمير السفن الصليبية وأسر كثير من رجالها فى حين فر أرناط بنفسه بصعوبة • أما صلاح الدين فقد رد عدوان أرناط بحصار حصن الكرك فى أواخر سنة ١١٨٣ م ثم سنة ١١٨٤ / ٥٧٩ / ٥٨٠هـ وان كان لم يستطع الاستيلاء عليه لقوة تحصينه(٩٢) •

٣ — نتيجة لتدهور أمور أشراف مكة فى عام ٦١٣هـ واحتدام الخلافات بينهم جمع الشريفان أبو نمى وادريس جمعا كبيرا وقصدوا مكة وحاصروا الأمير مبارز الدين بن برطاس حصارا شديدا ، ودخلوا عليه مكة من رؤوس الجبال وهزموه وقتلوا جماعة من أصحابه ، وسفكت الدماء بالمسجد الحرام ، وامتلأ الناس رعبا(٩٣) •

٤ — تتابعت الحوادث الفردية العدوانية على الحرمين الشريفين بعد ذلك وعلى سبيل المثال نذكر فى الرابع عشر من ذى الحجة ٧٣٠هـ وقعت فتنة بين أهالى مكة وأمير الحج المصرى وأتباعه ، واحتدم النزاع داخل المسجد الحرام

---

(٩٢) للتفاصيل انظر : سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ٦٣ — ٦٤ والحركة الصليبية حـ ٢ ص ٦١٧ — ٦٢٠ •

(٩٣) عمر بن فهد : اتحاف الورى ص ٧٧ •

وقت صلاة الجمعة والخطيب يخطب على المنبر ، وانتهى بمقتل أمير الحج المصرى ومجموعـة من المتقاتلين ، كما مات بعض الحجاج على أبواب المسجد الحرام عندما تزاحم الناس وهم خارجون فرارا مما حدث[٩٤] .

وفى عام ٧٤٣ وقعت فتنة بعرفة بين أشراف مكة والأتراك وانتهى الأمر بأن شهرت السيوف واحتدم القتال بينهما وقتل من الترك نحو ستة عشر رجلا ومن الأشراف أقل من ذلك[٩٥] ، وبعد الوقوف بعرفة توجه المتقاتلين الى مكة وتحصنوا بهـا مما أدى الى فرار الحجيج ودخول معظمهم الى المسجد الحرام للاحتماء به وتركوا المبيت بمزدلفة ومنى وبذلك لم يتم لمعظم الحجيج مناسكهم[٩٦] .

وفى سنة ٧٤٤هـ وقعت فتنة أيضا بين أمير الحج التركى وأهل مكة قبل الصعود الى عرفات قتل فيها جماعة من الفريقين فى أطراف المسجد الحرام وخارج أبوابه[٩٧] .

وفى عام ٧٦١هـ وقعت فتنة بـين الأتـراك يسـاعدهم

---

(٩٤) وتموت الفتنة ص ٣٨ .
(٩٥) دحلان : المرجع السابق ص ٣١ .
(٩٦) وتموت الفتنة ص ٣٨ .
(٩٧) وتموت الفتنة ص ٣٩ .

جنود من مصر وبين الأشراف عرفت بفتنة « قنـــدس »[٩٨] وفيها تقاتل الفريقان قتالا شديدا فى كل أنحاء مكة ، واعتصم بعض الناس بالمسجد الحرام الذى أغلقت أبوابـــه ، وقتـــل العديد من الفريقين ، واستطـــاع الاشراف أسر الكثيرين من الترك ، وارسلوهم الى ينبع ، وصاروا يبيعونهم وينادى عليهم الدلالون كالعبيد[٩٩] .

فى عام ٨١٧هـ وقعت احدى الحوادث التى انتهكت فيها حرمة المسجد الحرام والتى عرفت بفتنة الجـــراد[١٠٠] ، ففى الخامس من ذى الحجة فى ذلك العام أراد أمير الحج المصرى جقمق المؤيدى[١٠١] تأديب أحد غلمانه لحمله الســـلاح وهو معتمر ، فسجنه لديه فما كان من مواليه الا أن فزعوا لاطلاق سراح زميلهم[١٠٢] وقاموا بحركة تمرد هاجموا خلالها المسجد الحرام من باب ابراهيم وهم راكبون خيـــولهم والناس فى صلاة الجمعة[١٠٣] فهاجمهم أنصـــار الأمير جقمق واقتتـــلوا

---

(٩٨) محمد بن فهد : اتحاف الورى ص ٥١٦ .
(٩٩) دحلان : المرجع السابق ص ٣٣ .
(١٠٠) وتموت الفتنة ص ٤٠ .
(١٠١) محمد بن فهد اتحاف الورى : ص ٥١٦ .
(١٠٢) وتموت الفتنـــة ص ٤٠ .
(١٠٣) السباعى : تاريخ مكة ص ٢٩٥ .

اقتتالا شديدا ، وقتل العديد من الطرفين داخل الحرم ، واستمر القتال بينهما وخلال ذلك آمر أمير الحج المصرى باغلاق أبواب المسجد الحرام كلها وتسميرها الا باب بنى شيبه — وكان يومئذ بابا يمكن غلقه باحكام — والباب الذى عند المدرسة المجاهدية فسمرت[١٠٤] ثم أدخل جميع خيوله الى المسجد الحرام وتركها فى الرواق الشرقى حتى تلوثت أرضيات المسجد بروث الخيل وبدماء القتلى[١٠٥] ونظرا لتأزم الأمر واستمرار الانتهاكات لحرمة البيت الحرام . وكرامة المسلمين رأى الشريف حسن أمير مكة الاجتماع بكبار الحجاج والتشاور فى الأمر ، ثم اتفقوا على ندب شخص يتصل بأمير الحج المصرى ليبلغه استياء الحجيج مما حدث ، وضرورة تسوية الأمر واجلاء الخيول عن الحرم ، وانتهى الأمر بقبول الوساطة [١٠٦] .

٧ — وعن الانتهاكات لحرمة المسجد النبوى فى القرنين التاسع والعاشر الهجرى فقد توالت هذه الانتهاكات للمسجد النبوى من أمراء المدينة فعندما تنازع عجلان بن نعير مع جماز بن هبه جماز على امارة المدينة المنورة ، ودخل جماز المسجد

---

(١٠٤) دحلان : المرجع السابق ص ٣٨ .
(١٠٥) وتموت الفتنة ص ٤٠ .
(١٠٦) السباعى : المرجع السابق ص ٢٩٥ .

النبـــوى[١٠٧] وأخذ ستارتى الحجرة النبوية ، وأخذ جميـــع ما فى القبة من حاصل الحـــرم الشريف ، كما استولى عـــلى قناديل الذهب والفضة الموجودة بالمسجد ثم ارتحل هاربا .

وقد أدت هذه الحادثة الى تعطيـــل الأذان والاقامـــة والجماعة بالمسجد[١٠٨] .

وقد أعقب هذه الحادثة المشينة قيام أمير المدينة المنورة حسن بن زبيرى من آل نعير فى عـــام ٩٠١هـ باقتحام مســـجد رسول الله والاستيلاء على نفائسه بحجة فقـــره الشـــديد ، وضيق ذات يده وتفاصيل ذلك هو أنه بعد أن خلا المسجد من المصلين فى وقت الضحى جاء هذا الأمير فى مجموعة كبيرة من أعوانه متسلحين ودخل المسجد وأمر باخراج من فيه ونقل أبوابه وطلب من الخازندار « ايدى الرومى » مفتاح القبة النبويـــة فلما رفض أمر بضربه حتى أغمى عليه ، وأخذ المفتاح واستولى على جميع ما فى القبة من نقود وقناديل ، كما استولى عـــلى العديد من نفائس الحرم ، وخرج شاهرا سيفه[١٠٩] .

---

(١٠٧) لم نتعرف على تاريخ هذه الحادثة بالتحديد ، ولكننا نعرف أن حجاز قتل فى عام ٨١٢هـ كما ذكر الحافظ بن حجر . انظر الجاسر : المرجع السابق ص ١٩٠ .

(١٠٨) نفس المرجع ص ١٨٩ .

(١٠٩) الجاسر : المرجع السابق ص ١٨٣ — ١٨٤ .

وقد أدى ذلك الى تعطيل صلاة الظهر يومئذ فى المسجد وحدوث قلق كبير ، وتذمر شديد بين الناس أغلق خلاله أبواب المسجد النبوى ثلاثة أيام(١١٠) .

وهكذا يتضح مدى ما تعرض له الحرمان الشريفان من اعتداءات منكرة فى العصر الاسلامى قام بها أعداء الاسلام من الخارجين عليه والنصارى والمارقين ومع كل ذلك لم تتحقق أغراضهم فى النيل من كرامة البيت العتيق ومسجد سيد المرسلين خصوصا وأن هؤلاء كانوا فى حرب مع اللهورسوله ، وكل حرب من هذا النوع تكون خاسرة ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين .

---

(١١٠) انظر الجاسر : المرجع السابق ص ١٩١ — ١٩٤ .